عسكرية موجعة الى الكيان الصهيوني، من الجهة الاخرى، والتي كان آخرها عملية مفاعل ديمونا. ومن هنا «فان الاصابة الاسرائيلية هي الاهم في الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧» (جهاد الزين، السفير، بيروت، ١٨/٤/ ١٩٨٨).

وفي تطور نوعي في مسار العلاقة الفلسطينية ـ السورية، ابلغت دمشق، رسمياً، الى قيادة م.ت.ف. في تونس، رغبتها في دفن جثمان الوزير في دمشق، بناء على طلب عائلته المقيمة في سوريا. كما ابلغت سوريا الى الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، د. جورج حبش، رسمياً، ترحيبها بقدوم جميع قيادات «فتح» وم.ت.ف. الى دمشق، دونما استثناء.

تدارست قيادة المنظمة العرض السوري، وقررت تلبية الدعوة، ونقل جثمان الوزير الى دمشق، حيث تم تشييعه في موكب رسمي وشعبي، شارك فيه قرابة المليون ونصف المليون مواطن. وشارك في التشييع عن الجانب الرسمي السوري، الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، عبد الله الاحمر، ممثلاً الرئيس السوري حافظ الاسد. من جهة أخرى، لم يشارك عرفات في التشييع، خلافاً لما كان متوقعاً ومشاعاً. وترافق ذلك مع العديد من التساؤلات حول جدية النظام السوري في التوصل الى وضع حد للخلاف الفلسطيني ـ السوري، والذي استمر زهاء خمس سنوات متتالية، لا سيما وان وسائل الاعلام السورية اغفلت ذكر الصفات التنظيمية لاعضاء اللجنة المركزية والتنفيذية لـ م.ت.ف. لدى وصولهم الى دمشق، واكتفت بذكر اسمائهم فقط. ومن ناحية أخرى، التقى عرفات مع العقيد معمّر القذافي، في طرابلس الغرب، بتاريخ ١٩/٤/١٩٨٨؛ ومن ثم انتقل الى الجزائر؛ وكان واضحاً ان المباحثات تناولت تفاصيل واجراءات زيارة عرفات الى دمشق، وفتح باب المباحثات الرسمية الفلسطينية ـ السورية.

بدء المباحثات الرسمية

شهدت مرحلة ما بعد انتفاضة الداخل نوعاً من التقاطعات في المواقف السياسية بين م.ت.ف. وسوريا، تمحورت، في الاساس، في الموقف من مبادرة شولتس، وسبل انعقاد المؤتمر الدولي، والتعاطي مع الانتفاضة، عربياً. وبدا واضحاً من خلال عدم تلبية قيادة م.ت.ف. دعوة الملك حسين لزيارة عمان، وكذلك ما تمخضت عنه المباحثات الرسمية السوفياتية ـ الفلسطينية، وما قامت به الجزائر، ومن ثم ليبيا، من جهود مكثفة لعقد قمة استثنائية عربية، بهدف تأمين الغطاء العربي اللازم للانتفاضة، بأن قيادة المنظمة باتت اقرب الى دمشق منها الى عمان؛ وفي المقابل، لم تعد سوريا، ولا انصارها في لبنان، يستخدمون التعابير المعادية لقيادة م.ت.ف. ورئيس لجنتها التنفيذية، «فالمرحلة قد تتطلب اعادة النظر، ان بالعداوات او بالتحالفات. والمواقف التي كانت متضاربة في السابق قد تلتقي الآن؛ والمواقف التي كانت متوافقة قد تتضارب الآن» (القبس، الكويت، ٢ ـ ٣/٤/١٩٨٨).

وفي المقابل، أبدت قيادة المنظمة، خلال مرحلة ما قبل لقاء عرفات ـ الاسد، بتاريخ ٢٥/٤/١٩٨٨، روحاً من التفاؤل الجدي حول امكان التوصل الى اتفاق بشأن اعادة العلاقات السورية ـ الفلسطينية. وقد تعزز هذا التفاؤل بعدما ابلغ وزير الخارجية السورية، فاروق الشرع، الى وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، ان سوريا تتمسك بشرعية م.ت.ف. للشعب الفلسطيني، وتصرّ على اشراكها في أي مؤتمر دولي حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وذلك بغض النظر عن اية خلافات أو تباين في المواقف بينها وبين قادة م.ت.ف.» (المستقبل، باريس، ١٦/٤/١٩٨٨).

الى هذا، أخذت وسائل الاعلام السورية، عشية لقاء وفد اللجنة المركزية لـ «فتح» مع نائب الرئيس السوري، عبد الحليم خدام، تركز على دور سوريا في احتضان الثورة الفلسطينية. وفي هذا السياق، اوردت الاذاعة السورية، في تعليقها السياسي الرئيس، بتاريخ ١٩/٤/١٩٨٨، ان سوريا لم تكن في يوم من الايام الا رئة الثورة الفلسطينية، والمدافعة، بصلابة وقوة، عن قضية فلسطين. وقد شكّلت مواقف سوريا العربية وباستمرار مبعث الآمال للشعب العربي الفلسطيني وهو يخوض نضاله المتصاعد ضد الاحتلال الصهيوني، ومن اجل استرجاع حقوقه الوطنية الثابتة فوق ارضه وترابه» (الاذاعة السورية، نشرة الساعة ١٤,١٥). وفي نقلة نوعية في مسار المباحثات